# دور المنهج والاتجاه الجغرافي في الدراسات والبحوث الاجتماعية

# Geographic approach in social research.

**سفيان بن صفية[1]، جمال خضور[2]**

[1] جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02، bensefiasofiane@gmail.com

[2] جامعة محمد بوضياف المسيلة، khoudour_dj@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/05/28 تاريخ القبول: 2021/06/19 تاريخ النشر: 2021/06/30

**ملخص:**

تتقاطع الجغرافيا مع العديد من التخصصات الاجتماعية كعلم النفس وعلم الاجتماع كونها علما بشريا بامتياز تهتم بالإنسان كمحور أساسي ومركزي في أبحاثها المختلفة، ولكن من زاوية انتشاره في المجال الجغرافي.

بين هذا وذاك تأتي ثمرة التزاوج بين الجغرافيا كعلم طبيعي قائم بذاته له منهجه وأدواته والعلوم الاجتماعية ودورها الأساسي في بناء المجتمعات والشعوب، ألا وهو ميلاد تخصص الجغرافيا البشرية أو الاجتماعية.

تأتي هذه الدراسة لتوضيح العلاقة بين العلوم الاجتماعية المختلفة والجغرافيا البشرية من جهة، ومن جهة ثانية إبراز أهمية المنهج الجغرافي في دراسة الظواهر الاجتماعية المختلفة بأخذ أمثلة واضحة في مختلف التخصصات.

**كلمات مفتاحية: العلوم الاجتماعية؛ الجغرافيا البشرية؛ المنهج الجغرافي؛ المجال؛ الإنسان.**

**Abstract:**

Geography intersects with such disciplines as psychology and sociology, being a humane science that cares about man as central hub in her research, but the point of view of spatial variation.

The emergence of humane geography has its methods and tools are the result of mating between social science and geography as a natural science.

This study aims to clarify the relationship between social science and human Geography on the one hand.

On the other hand to explained the importance of the Geographical approach in studying the different phenomena by taking examples in different disciplines.

**Keywords:** Human Geography; social science; Geographical approach; Space; Human.

* **المؤلف المرسل**: سفيان بن صفية، **الإيميل**: bensefiasofiane@gmail.com

## 1. مقدمة:

تعد الجغرافيا من بين أولى العلوم التي اهتدى إليها الإنسان على هذه الأرض، الأمر الذي سهل على بعض المختصين الحكم على أن الإنسان جغرافي بطبعه، أي أنه عرف موطن قدميه منذ أن وجد على أديم هذه الأرض؛ فهذا الإنسان شبيه بالمولود الجديد الذي يعرف في لحظة مولده موضع ثدي أمه.

فمعرفة المكان ومركباته وثرواته من مأكل ومشرب وأماكن الخطر، حتم على الإنسان الأول اكتساب مهارات جغرافية ممتازة أهلته إلى التأقلم مع المكان الذي وجد فيه ومواجهة أخطاره واستغلال ثرواته الاستغلال الأمثل.

وعليه فجدلية الإنسان والمجال عرفت منذ الأزل، هل المجال الطبيعي هو الذي يتحكم في الإنسان أن الانسان بمهاراته وتفكيره هو من أقلم المجال ووجهه حسب تصوراته وإرادته، وفتح المجال واسعا إلى بروز فرعي الجغرافيا بجناحيها: الطبيعية والجغرافيا.

من هذا المنطلق، وبناء على تعريف الجغرافيا المختزل في المعادلة التالية:

الجغرافيا = الإنسان+ المجال

نستنتج أن الإنسان هو المحور والنواة الأساسية لعلم الجغرافيا، وهي نقطة التقاطع بين الجغرافيا وباقي العلوم الاجتماعية الأخرى كعلم الاجتماع، علم النفس، التاريخ، الأنثروبولوجيا ... وغيرها.

فنقطة التشارك بين هذه العلوم هي العصب الرئيسي الذي من خلالها نجد اللحمة التي تربط بينها (العلوم)، والبحث عن طرق الاستفادة المشتركة بين مناهجها وأدواتها، وعلى هذا الأساس حاولنا طرح الإشكالية الرئيسية لهذه الورقة: علاقة ودور المنهج الجغرافي بالبحوث الإنسانية والاجتماعية؟

للإجابة عن هذه الإشكالية نطرح الأسئلة التالية:

- ✓ ما هو المنهج الجغرافي، وفي ماذا تتمثل أساسياته، خصوصياته؟
- ✓ وكيف يمكن تطبيقه في الدراسات الاجتماعية والانسانية، وماهي الإضافة التي يقدمها لهذه الدراسات؟
- ✓ هل يمكن أن نطبق المنهج الجغرافي ومداخله في البحوث الاجتماعية، وكيف؟

### 1.1. منهجية ومناهج الدراسة:

تنقسم دراستنا هذه إلى شقين الأول يعرف بالجغرافيا، منهجها، أساسياته وأدواته؛ في حين الشق الثاني يركز على تطبيقات هذا المنهج في الدراسات الاجتماعية والإنسانية.

سنركز في الشق الثاني على منهج دراسة الحالة من خلال أخذ عينات "دراسات" أخذت في تحليلها المنهج الجغرافي والنتائج التي توصلت إليها ونقارنها بدراسات أخرى لم تأخذ المنهج الجغرافي والنقائص التي لحقتها.

لذلك سنعتمد على مجموعة من المناهج العلمية المتعارف عليها في الدوائر العلمية: كالمنهج الوصفي التحليلي، منهج دراسة الحالة والمنهج المقارن.

### 2.1. دراسات سابقة:

* أطروحة جامعية تحت عنوان: محافظات غزة دراسة في جغرافية الجريمة (جرائم القتل)، من إعداد: صالح مُحَمَّد محمود أبو عمرة، إشراف: الدكتور أشرف حسن مُحَمَّد شقفة، 2010.

ركز الباحث من وراء هذا العمل الأكاديمي على التركيز على ظاهر الجريمة كظاهرة مكانية وعلاقتها بتغيرات المجال الجغرافي ومركباته وفقا للأهداف التالي:

- التعرف على التوزيع المكاني للجريمة.
- إظهار طبيعة العلاقة بين النمو السكاني وجرائم القتل.
- الكشف عن أكثر أنواع جرائم القتل انتشاراً في محافظات غزة.
- إلقاء الضوء على جرائم القتل التي ظهرت حديثاً في محافظات غزة.

* James (M). Lindsay (2001). Techniques in Human Geography. Ed: Taylor & Francis e-Library, London and New York.

في هذا الكتاب المتميز نجد أهم الطرق والتقنيات الحديثة المطبقة في الدراسات الاجتماعية: التعامل مع المعطيات المكانية، الاستبيانات، الإحصاء، العمل الكارتوغرافي والتحليل المكاني للظواهر الاجتماعية.

### 3.1. أهداف الدراسة:

يمكن أن نلخص أهداف الدراسة في النقاط التالية:

- تبصير وتنوير الوسط العلمي خاصة في التخصصات الاجتماعية بالمنهج والاتجاه العلمي الجغرافي ودوره في تفسير وتحليل دراساتهم المتعلقة بالمجال.
- محاولة تقييم مدى استخدام المنهج الجغرافي في الدراسات الاجتماعية، خاصة الحضرية منها.
- محاولة تقريب التخصصات التقنية خاصة المجالية منها (الجغرافيا) بالتخصصات الاجتماعية كونها تنظر للظواهر البشرية والطبيعية بنظرة شمولية.

### 4.1. فرضيات الدراسة:

أما عن فرضيات الدراسة فهي على النحو التالي:

* أن للجغرافيا بمنظورها الشمولي أهمية كبيرة في تحليل وتفسير الظواهر الاجتماعية الموزعة في المجال الجغرافي.

* أن هناك تحكم ضعيف في المناهج الجغرافية في الدراسات الاجتماعية وقصور إلى حد ما في توظيف منطلقات الدراسات الاجتماعية المجالية.

للإحاطة بالموضوع يجب أن نعرج على مفهوم الجغرافيا والمدارس الجغرافية، ثم نركز جيدا على المناهج الجغرافية ومنطلقات الجغرافية البشرية.

ولاختبار مدى صحة هذه الفرضيات سنختر كعينة عشوائية مقالين من المقالات التي درست الظواهر الاجتماعية كما هو مبين في التحليل والعرض.

## 2. الجغرافيا: دراسة في المفهوم والأبعاد:

يعد مصطلح جغرافيا أو جغرافية مشتقة من كلمتين يونانيتين: جيوس( Geos) وغرافوس (Graphos) بمعنى وصف الأرض (محمود محمّد سيف، 1998، ص11)، وأول من استخدم هذه الكلمة هو العالم الإغريقي إيراتوستين (ERATOSTHENES) عام 240 ق م كعنوان لأحد مؤلفاته.(هاشم محمّد، 2014، ص 14)

أما مصلح الجغرافيا في اللغة العربية فلم يتداول إلا حديثا، حيث كان العرب والمسلمون يستعملون صورة الأرض أو قطع الأرض أو خريطة العالم والأقاليم أو المسالك والممالك أو تقويم البلدان أو علم الطرق...وغيرها. (هاشم مُحَّد، 2014، ص13)

فالجغرافيا **اصطلاحا** هي: كباقي التخصصات والعلوم تعرف اختلافا كبيرا في تعريفها ومفهومها، وذلك ناجم عن الكم الهائل من المحاولات المتعددة لأطراف ومدارس مختلفة للخروج بتعريف جامع مانع لهذا التخصص، فهناك من يعتبرها علم طبيعي والآخر علم بشري يدخل ضمن التخصصات الاجتماعية والإنسانية، وهو ما يلخصه بيار جورج في معجم الجغرافيا (Mots de Géographie) التعريف التالي: (جورج، 2002، ص255)

" فعلى خلاف الجيولوجيا فإن الجغرافيا علم بشري بعد أن كانت في بعض الأوقات علما رياضيا يهتم بتعريف وقياس أشكال الأرض وأبعادها؛ وهي تهدف إلى إبراز ومحاولة ضبط طبيعة وكثافة العلاقات والروابط التي تطبع حياة المجتمعات البشرية وتكييفها مجاليا".

في حين أن الموسوعة البريطانية تعرفها على أنها: "الجغرافيا هو العلم الذي يصف، يفسر ويحلل التحولات المكانية للظواهر البشرية والطبيعية على سطح الأرض وترتبط الجغرافيا بالأرض وعلومها كما ترتبط أيضا بالعلوم الإنسانية." ( الرديسي؛ جهينة، دت، ص05)

أما تعريف (ريتشيرد هارتشون): **"**هي علم التباين الأرضي الذي يرتبط بمحاولة توزيع الظواهر الطبيعية والبشرية ومحاولة تفسيرها**"** (الرديسي؛ جهينة، دت، ص05).

إلا أن (فيدال دولابالاش) يعرفها على أنها دراسة التفاعل بين الإنسان وبيئته ضمن مجال جغرافي محدد (الإقليم) (بلفقيه، دت، ص19 ).

**3. مدارس علم الجغرافيا والنزعة الاجتماعية:**

لا يختلف اثنان في كون الجغرافيا هي علاقة الإنسان بالمجال، غير أن مجالات التقاطع والهوامش بين الإنسان والمجال هي محل الاختلاف والنشاز، فهناك من يرى أن المجال الطبيعي ومركباته هي النواة المركزية في الدراسات الجغرافيا والإنسان ما هو إلا أحد العناصر غير الطبيعية التي تعيش وتتأقلم مع هذا الفضاء،

بل وأكثر من ذلك أعتبر الإنسان في نظر هذا الاتجاه هو نتاج للوسط الطبيعي الذي يعيش فيه، ومن رواد هذا الاتجاه نجد: كارل ريتر(Karl Ritter)، فريديريك راتزل (Fréderic Ratzel) ، فون همبل دوت (Wilham von Humollot) أوسكار بشل (Oscar Peschel) (مؤسس الجغرافية الطبيعية)، من فرنسا ديمولان (DEMOLINS) وآلان سمبل (ALLEN SEMPLE) من الولايات المتحدة الأمريكية. (مُحَمَّد سيف، 1998، ص13)

غير أن هذا الاتجاه الذي تركز في أوربا الغربية خاصة في ألمانيا وفرنسا لم يستطع المقاومة كثيرا أمام الاتجاه الثاني الذي يعتبر الجغرافيا ضمن العلوم الإنسانية والاجتماعية، بل يؤكد على دور الإنسان كعنصر حاسم ومؤثر في الطبيعة عبر التاريخ بواسطة فكره ووسائله وإمكانياته، لكنه يتأثر بدوره بهذه الطبيعة دون أن يكون خاضعا لها.

و هذا ما ركز عليه رواد هذه المدرسة في كل كتاباتهم على دور الإنسان في بلورة المجال الجغرافي، ويكفي أن نشير إلى كتاب "مبادئ في الجغرافية البشرية " لفيدال دو بلاش 1922 و"الجغرافية البشرية" لجون برينتس (J.Brunttes ) سنة 1910م وكتاب "مشاكل الجغرافية البشرية" لدومنجون (A.Domangean)، و"أسس الجغرافية البشرية" لكارل ساور (K.Sorre) (مُحَمَّد سيف، 1998، ص13)

إذن فالصراع بين المدرستين الحتمية والإمكانية انتهى ببزوغ تيار المدرسة الإمكانية التي تعتبر الإنسان هو محور الدراسة وتنظيم المجالات الطبيعية خاصة مع التطور العلمي الكبير في شتى التخصصات.

## 4. منهج البحث في علم الجغرافيا: الطرق، الوسائل والأهداف:

يتناول علم الجغرافيا دراسة سطح الأرض وما عليه من ظواهر بشرية، من خلال توزيعها توزيعا إقليميا، ومدى تأثرها بالظروف الطبيعية، وتستمد فروع الجغرافيا مادتها من علوم مختلفة، وعلى هذا النحو نقسم الجغرافيا إلى طبيعية (جغرافية المناخ، جغرافية البحار،...) وبشرية (جغرافية السكان، جغرافية الصحة، جغرافية الجريمة....)؛ والفرق بين الجغرافيا الطبيعية، أو البشرية والعلوم الأصولية (علم المناخ، علم

البحار، علم الإجرام، علم السكان....) المتفرعة عنها، والتي تعتمد عليها وتستمد منها مادتها العلمية هي أن:

- أن هذه العلوم تدرس تلك الظواهر دراسة منفردة مجردة، أما الجغرافيا الطبيعية أو البشرية فتهتم بتوزيع هذه الظواهر مكانيا (التوزيع المجالي للظواهر)، وربط مختلف الظواهر بعضها ببعض والبحث عن أسباب هذا التوزيع، والنتائج والانعكاسات المترتبة عنه.
- تهدف الدراسة الجغرافية إلى الكشف عن التباينات الإقليمية، وتقسيم سطح الأرض إلى مجموعات متجانسة. (أقاليم متجانسة). (بلفقيه، دت، ص16)

أما الجغرافيا البشرية وهي لب دراستنا، فهي تتناول دراسة توزيع المجتمعات البشرية ومدى التأثير المتبادل بينها وبين بيئاتها الطبيعية، والصور والاجتماعية الناجمة عن تفاعل الإنسان مع بيئته المحلية مثل: توزيع السكان وأنماط العمران (الحضري والريفي)، كما تشمل دراسة النشاط البشري ومؤثراته والتركيب السياسي....وما يترتب على ذلك من مشكلات...

تتحدد طبيعة الجغرافيا البشرية بدراستها لملامح التفاعل وأوجه التباين والتشابه بين الأقاليم المختلفة...ومن ثمة فهي العلم الذي يهتم بوصف وتحليل الأنماط المكانية للظاهرات الثابتة والمتغيرة ذات الأصل البشري على سطح الأرض. (هاشم مُحَمَّد، 2014، ص.ص22.21)

### 1.4. تعريف المنهج العام والمنهج الجغرافي:

المنهج لغة هو مصطلح علمي يعود في جذوره إلى اللغة اليونانية، مؤلف من شطرين: (logos) وتعني علماً و(Method)، وتعني منهجا؛ فهو يعني من حيث الاشتقاق اللغوي علم المنهج . (MethodoIgy) (دياب، 2012، ص-ص337- 371)

يعرف المنهج مجموعة الطرائق والأساليب (الإجراءات والعمليات) التي يستخدمها الباحث للكشف عن الحقيقة أو بعبارة أخرى هو طريقة تنظيم عملية اكتساب المعرفة العلمية، إنه المبادئ التنظيمية الكامنة في الممارسات الفعلية للباحثين الذين انخرطوا في إنتاج المعرفة العلمية والإضافة إلى نسق العلم. (دياب، 2010، ص-ص823- 862)

يمكن أن نلخص أهم خطوات المنهج الجغرافي العام في دراسة مواضيعه البشرية أو الطبيعية على النحو التالي:

### 1.1.4. الوصف:

يقصد بالوصف هو أن يدون الجغرافي كل ما يشاهده من ظواهر طبيعية وبشرية (ظواهر اجتماعية: الفقر، اليتم، الشيخوخة، الإجرام، العنف.....) تصادفه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على مستوى الحيز الجغرافي الذي يعمل عليه، لذا على الجغرافي إنماء حس الملاحظة والمشاهدة والتأمل في المجال الذي يدرسه، كونها تعد أولى مراحل الدراسة الجغرافية.

### 2.1.4. التحليل والتفسير:

وهي المرحلة الثانية من مراحل العمل الجغرافي، فعلى الجغرافي أن يفسر تلك الظواهر التي شاهدها ودونها في عمله تفسيرا علميا منطقيا، خاصة وأن الجغرافيا تسعى إلى البحث أكثر في المسببات بقدر ما تبحث عن النتائج.

فمثلا اختلاف الكثافة السكانية من منطقة على أخرى، اختلاف الأنشطة الاقتصادية، اختلاف مستويات التنمية، التباين في مستويات الإجرام، الاختلاف في نسب الإعاقة... وغيرها.

### 3.1.4. تقنيين المعلومات الجغرافية:

وهذه هي المرحلة الثالثة من مراحل العمل الجغرافي، أي الخروج بحقائق، قواعد وقوانين ثابتة من خلال المرحلتين السابقتين (النمذجة).

بمعنى أنه إذا توفرت نفس الظروف الجغرافية تؤدي إلى نتائج واحدة، فمثلا التباين في نسب الإجرام وعلاقته بالأحياء الشعبية (كلما اقتربنا إلى الأحياء الشعبية زادت نسبة الإجرام)، (التدين والخصوبة)، (توزيع الأمراض الصدرية في مجالات معينة، الإعاقة ....).

### 4.1.4. التوزيع الجغرافي:

ويعد أحد أساسيات علم الجغرافيا، حتى قيل أن الجغرافيا علم التوزيعات، (بلفقيه، دت، ص19) ويكون هذا التوزيع على الخريطة كخريطة توزيع السكان، خريطة الإجرام، خريطة المستويات التنموية،

خريطة اليُتم، .... وغيرها أو بعبارة أخرى مختلف الظواهر البشرية والاجتماعية التي تنتشر على المجال يمكن توزيعها خرائطيا.

### 2.4. مداخل الجغرافية البشرية:

تتميز الجغرافيا البشرية باستخدام مداخل العلوم الاجتماعية كالمدخل التاريخي، المدخل الاجتماعي... وغيرها وكذلك المناهج المستخدمة فيها النمذجة الرياضية، والإحصائية الاقتصادية، والموازنة... وغيرها، وتستخدم في الجغرافية البشرية:

- مداخل الجغرافية العامة، كالمدخل الإقليمي والبيئي ... ومناهج الجغرافيا العامة كالمقارنة الجغرافية، والكارتوغرافيا وغيرها.
- مداخل ومناهج جغرافية بشرية كالمدخل المشكلاتي، مناهج التقسيم الإقليمي الجغرافي البشري، والكارتوغرافي، الاقتصادي، وغيرها...
- أخيراً يستخدم في دراسات الجغرافية البشرية الخاصة ضمن فروع الجغرافية البشرية مداخل ومناهج خاصة بها.

*** مثال:**

يتمتع المدخل السلوكي بآفاق واسعة في الدراسات السكانية (الجيوديموغرافية) وباستخدام متميز للمؤشرات والصيغ المختلفة بغرض توصيف العمليات والبنى الجغرافية السكانية، والاجتماعية... وغيرها.

لا شك أن التصنيف الراهن لم يفقد طابعه التوافقي الذي يعد ضرورياً بحكم الوحدة الموضوعية للعالم، إذ تجري دراسة جوانبه المختلفة من قبل فروع المعرفة العلمية المستقلة .

تتم في المرحلة الراهنة من تطور العلوم عملية تكاملٍ لمكوناتها أو فروعها المستقلة، ويتحقق في سياقها تداخل متبادل للمداخل والمناهج الفعالة من فرع علمي إلى آخر، وتحول هذه المداخل والمناهج العلمية الخاصة إلى فئة المداخل والمناهج العلمية التخصصية، وارتقاء هذه الأخيرة إلى المستوى العلمي العام وغير ذلك. (دياب، 2010، ص-ص823- 862).

### 1.2.4. أسس وخصوصيات منهج الجغرافيا الاجتماعية والبشرية:

يمتاز منهج الجغرافيا الاجتماعية بجملة من الخصائص والمميزات نلخصها فيما يلي:

* **الانتظام**: إذ يوجه الباحث نحو التتابع المنطقي للعمليات المعرفية، والقبول الجدلي للكل وأجزائه، وتعدد العناصر وتنوع العلاقات بينها، والهيكلة والتنظيم المكاني للمكونات .تتميز البحوث الجغرافية البشرية بالإحاطة والشمولية لجميع جوانب توظيف الظواهر والموضوعات المكانية، وبتحليل العلاقات والروابط المتبادلة الداخلية والخارجية، وبتركيب البنية الإجمالية.

* **الإقليمية**: يشكل المكان الأساس لقيام الإنسان بنشاطاته الحيوية، ويجري تقسيمه إلى أقاليم وغيرها من التصنيفات الأخرى بهدف تطوير التنظيم المكاني للمجتمع.

تشكل الأقاليم التي تم تمييزها والتي تنتمي إلى مراتب مختلفة الوحدات العملياتية الأساس للنشاطات المعرفية والتحويلية (إعادة التنظيم) للعلماء وأصحاب الخبرات.

* **القياس**: تجري البحوث الجغرافية البشرية للمنظومات المكانية البشرية من مختلف المراتب التصنيفية على أساس مجموعة مداخل المعرفة ومناهجها .وتبعاً المنظومات التي تجري دراستها يتم تعميم وصياغة عناصر (Parameters) لمعايير هذه المنظومات، ومكوناتها، وأساليب البحث ووسائله.

* **المنظور المستقبلي**: إن ما يميز البحوث المعاصرة هو قابليتها للتطبيق، والشروع نحو إعادة تشكيل الموضوعات، والظواهر، والعمليات الجاري دراستها .أصبح الاستشراف العلمي، والتوقع الجغرافي البشري لتطور المنظومات المكانية البشرية جزءاً لا يتجزأ من منهجية الجغرافية البشرية. (دياب، 2012، ص-ص337- 371).

## 5. الظواهر الاجتماعية من منظور المنهج الجغرافي (أية إضافة؟ من خلال دراسة نماذج وأمثلة حية):

من خلال تتبعنا لبعض الدراسات والبحوث الأكاديمية نجد أن هناك خلط في المفاهيم الجغرافية، فجل الباحثين لا يفرق بين الجغرافيا البشرية والجغرافيا الاجتماعية، فالأولى أصل والثانية فرع أي أن الجغرافيا البشرية هي قسم كبير من الجغرافيا الموضوعاتية (الطبيعية والبشرية)، في حين أن الجغرافيا الاجتماعية هي فرع من فروع الجغرافيا البشرية يهتم بدراسة الصور الاجتماعية الناجمة عن التفاعل بين

الإنسان والمجال (الجريمة، الكثافات السكانية، البطالة، الإعاقة، اليتم، الطلاق....)؛ كما تهتم بدراسة أسلوب حياة الإنسان في مجاله الطبيعي والنشاط البشري الذي يعتمد اعتمادا كبيرا على إمكانيات البيئة. (شوية، 2007، ص-ص179-193)

حمل التوسع في دراسة الجانب الاجتماعي من تطور المنظومات المكانية البشرية معه إدخال المدخل الاجتماعي في الدراسات الجغرافية البشرية، واضعاً في رأس أولوياته مصالح الإنسان، ووحدة الناس والمجتمع بشكل عام .

يستخدم هذا المدخل من أجل تلبية الطلب على البحوث المكانية، وإبراز الظروف الاجتماعية للتنظيم المكاني للمجتمع، وكذلك للتوظيف المكاني للجماعات البشرية، ودراسة المنظومات المكانية البشرية، ومستوى السكان ونوعيتهم وأسلوب حياتهم، لذلك كله يجري التوسع في استخدام البحوث الاجتماعية التجريبية (المقابلات، الاستبيانات،... وغيرها)

**6. نماذج توظيف الدراسات الجغرافية في البحوث الاجتماعية:**

إن توظيف المنهج الجغرافي في الدراسات الاجتماعية ليس وليد اليوم، بل يعود إلى القرن 17 و18 من خلال المدرسة الجغرافية الفرنسية على رأسها (فيدال دولابالاش) وهو ما ترجمه (بيار جورج) في تعريفه للجغرافيا (الجغرافيا علم بشري بعد ما كان علم طبيعي).

غير أن توظيف المنهج الجغرافي في الدراسات والبحوث الاجتماعية كان من طرف الجغرافيين منطلقين من فكرة أن أي ظاهرة تتوزع في المجال فالجغرافيا أولى بها لا سيما الظواهر الاجتماعية البارزة كظاهرة الجريمة، السكان، السرقة، الآفات الاجتماعية؛ أي أن المدخل الاجتماعي كان حاضرا بقوة في الدراسات الجغرافية على عكس البحوث الاجتماعية التي تعرف قصورا كبيرا في توظيف المنهج والمدخل الجغرافي في مختلف بحوثهم.

من هذا المنطلق سنحاول عرض بعض الدراسات والبحوث الاجتماعية التي تناولت موضوعا مختلفة موظفة في العرض والتحليل المنهج الجغرافي، محاولين الوقوف على النتائج المتوصل إليها وأثرها على المعرفة العلمية:

**1.6. الدراسة النموذجية الأولى: بعنوان:** "المقاربة السوسيو جغرافية لظاهرة الجريمة" للباحث الجزائري سيف الإسلام شوية جامعة باجي مختار بعنابة الجزائر، منشور في مجلة العلوم الإنسانية، العدد12، جامعة محمد خيضر بسكرة نوفمبر 2007.

دراسة الباحث سيف الإسلام شوية هي من البحوث الاجتماعية العلمية الممتازة في ميدان علم الاجتماع الإجرامي، يهدف من خلالها إلى توضيح الرؤى، على أنه يستحب دراسة ظاهرة الجريمة في ظل مقاربة مابين فرعية (بينية)، بأخذ الأبعاد السوسيو –جغرافية للجريمة في الحسبان.

المقاربة قائمة على أن المشكلات الاجتماعية لها روابط تربطها بمختلف جوانب الحياة من النواحي العضوية والنفسية والاجتماعية.

من بين النماذج التي قدمها الباحث عن ظاهرة الإجرام وهي ظاهرة الإرهاب وعلاقة ذلك بالمجالات الجغرافية وخصوصياتها خاصة خرائط الفقر بشتى أنواعه، والتي قسمها الباحث إلى قسمين خرائط الفقر التعليمي خرائط الفقر الاقتصادي والاجتماعي.

يعود غياب الدراسات السوسيو جغرافية لظاهرة الجريمة إلى جملة من الصعوبات المنهجية والحساسيات التي تفرضها ظاهرة الجريمة.

من بين النتائج التي توصل إليها الباحث هي:

أن الاستعانة بالنظريات الجغرافية في دراسة الظواهر الاجتماعية يشكل خطوة نحو فهم واستيعاب البيئة موضوعيا، وكيفية تفاعل الإنسانية مع التغيرات التي تطرأ على البيئات كون هذه الأخيرة تنطلق من أن البيئة ليست واحدة، فلا يقتصر الأمر على تنوع البيئات الحيوية والطبيعية، بل أيضا وجود محتوى اجتماعي وثقافي وسياسي واقتصادي وتشريعي، وظروف أخرى محيطة لها تأثيرها اليومي على أنشطتنا وعقائدنا وقيمنا، كما توجد الأعماق الإنسانية.

كما أبرز الباحث بوضوح أن علم الاجتماع لوحده قاصر على تفسير واضح لظاهرة الجريمة خاصة وأن هذا العلم يهتم التفاعل في المجتمع؛ في حين أن الجغرافيا تهتم بالنواحي البشرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من العوامل والنواحي التي تنعكس سلباً أو إيجاباً على المجتمع البشري، لأن السكان في

حالة تغير من الناحيتين الكمية والكيفية وهذا ينعكس على البيئة الإنسانية في تغير مستمر. (النظرة الشمولية لعلم الجغرافيا).

وعليه فالباحث تمكن إلى حد بعيد من توزيع ظاهرة الإجرام الملخصة في ظاهرة الإرهاب وربطها بالتوزيع المجالي للفقر الاقتصادي والتعليمي (الجهل والأمية)؛ ليستنتج في الأخير أن المتغير الجغرافي محدد هام في التحديد، التفسير والتحليل. (شوية، 2007، ص-ص179-193)

**2.6. الدراسة النموذجية الثانية:** بعنوان: "دور الأمن الحضري لمدينة سطيف في الوقاية من الجريمة" للباحثين مُحَّد غزالي وفيروز زرارقة، مقال علمي منشور بمجلة العلوم الاجتماعية لجامعة سطيف 02، العدد 24 جوان 2017.

ركزت هذه الدراسة على مجال جغرافي محدد من أكبر التجمعات العمرانية في الجزائر، ألا وهي مدينة سطيف وبالأخص في الوسط الحضري للمدينة الذي يشهد عدد معتبر من الجرائم والجنايات يوميا على اختلاف أنواعها.

الدراسة كانت اجتماعية بحتة من خلال تركيز الباحثين على الإجابة على مجموعة من الأسئلة مركزة على دور وفاعلية الأمن الحضاري لمدينة سطيف في مكافحة الجريمة، وعن أساب وأنواع الجرائم في هذا الوسط الحضري.

إلا أن الباحثين بعد استكمالهما الأهداف الإجرائية والتحليل النظرية حاولا توظيف المنهج الجغرافي (التوزيع المجالي) باستغلال الكارتوغرافي في:

- توزيع مقرات الأمن الحضري وتبيان كثافة انتشاره عبر الوسط الحضري لمدينة سطيف، وإقليم نشاطه (التوزيع الفضائي).
- إبراز الكثافة الأمنية (كم عدد السكان لكل نسمة)، وهي مقاربة جغرافية للوقوف الفوارق المجالية في التغطية الأمنية.
- توزيع الجريمة في شمال الجزائر وتقسيم المجالات الجغرافية إلى أقاليم الإجرام وكل إقليم نوع الجريمة المنتشرة فيه.

– توزيع الجرائم حسب نوعها في أحياء مدينة سطيف وهي لب جغرافية الإجرام، أي كل إقليم بماذا يمتاز، ولماذا؟ (الأحياء الشعبية، الأحياء التجارية، الأحياء متوسطة الرفاه الاجتماعي.....)

من بين النتائج التي توصل إليها الباحثين وهي نتائج توظيفه للمدخل الجغرافي، هي تقسيم المحيط الحضري لمدينة سطيف إلى أقاليم إجرامية حسب كثافة القضايا المسجلة على مستوى الأمن الحضري التابع لها (أربع فئات أو أقاليم). ( غزالي وزرارقة، 2017، ص–ص360–378).

## 7. خاتمة:

من خلال هذه الورقة البحثية تمكنا من الوصول إلى النتائج التالية:

– أن الجغرافيا علم مجالي بامتياز، يضع في صلب اهتماماته الإنسان ومتطلباته وتدخلاته على المجال؛ لذلك صنفت من طرف البعض كونه علم بشري أكثر منه علم طبيعي.

– أن الجغرافيا كباقي العلوم الطبيعية أو البشري له خصوصيته ومنهجه ومنطلقاته البحثية؛ لذا على كل دارس للمجال ومركباته البشرية أو الطبيعية الالتزام والتقيد بها للوصول إلى النتائج العلمية المطلوبة.

– أن العلوم المجالية في مقدمتها علم الجغرافيا والعلوم الاجتماعية كل متكامل، فتوظيف المناهج الجغرافية وتوجيهها وجهة اجتماعية يعطي للدراسة نظرة شمولية يمكن أن نستفيد منها في تفسير وتحليل مثل هذه الظواهر الاجتماعية، خاصة وأن الإنسان يعيش في مجال جغرافي يؤثر فيه ويتأثر به.

– من خلال النماذج المقدمة في هذه الدراسة والتي اهتمت بعلم الاجتماع الحضري (الجريمة في الوسط الحضري) تم توظيف المناهج الجغرافية خاصة التوزيعات المجالية، وهو ما يترجم في النتائج البحثية المتوصل إليها من طرف الباحثين في مقالاتهم العلمية ومحاولة حصر هذه الظاهرة ومكافحتها.

فمن خلال هذه الدراسة نتوصل إلى أن الجغرافيا كعلم شمولي مستقل له اهتمام كبير بالمواضيع الاجتماعية والبشرية، لأن موضوع الإنسان هو المحور الأساسي للدراسات الجغرافية، الأمر الذي أدى إلى توفير مجموعة من المداخل والمناهج الجاهزة لتطبيقها في مختلف البحوث الاجتماعية على غرار ظاهرة الجريمة.

إن تطبيق مداخل الجغرافيا البشرية في البحوث الاجتماعية كان له أثر بارز على نتائج الأبحاث المتوصل إليها من طرف المتخصصين في العلوم الاجتماعية، بل وأكثر من ذلك يمنحهم تصور شامل للظاهرة ضمن محيطها الأمر الذي يسهل علينا بلورة فكرة متكاملة عن مختلف الظواهر الاجتماعية لنظرة مستقبلية.

## 8. قائمة المراجع:

**باللغة العربية:**


1- بيار جورج. (2002). معجم مصطلحات علم الجغرافيا. (ط2). تر: حمد الطفيلي وهيثم اللمع. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

2- هاشم محمد صالح. (2014). الجغرافيا البشرية. (ط1). عمان. الأردن: دار الرواد.

3- محمود محمد سيف. (1998). أسس البحث الجغرافي. طنطا. مصر: دار المعرفة الجامعية..

4- سمير محمد على حسن الرديسي؛ عبد المحمود على أحمد جهينة. (دت). مقدمة في الجغرافيا البشرية. الخرطوم: دون دار النشر.

5- سيف الإسلام شوية. (نوفمبر 2007). المقاربة السوسيو جغرافية لظاهرة الجريمة. مجلة العلوم الإنسانية – جامعة محمد خيضر بسكرة. (12). ص179-193.

6- علي محمد دياب. (2010). المدخل والمنهج في الدراسات الجغرافية البشرية. مجلة جامعة دمشق. 26 (3). ص823- 862.

7- علي محمد دياب. (2012). علم المنهج في الجغرافية البشرية. مجلة جامعة دمشق. 28 (01).ص337-371.

8- صالح محمد محمود أبو عمرة. (2010). محافظات غزة دراسة في جغرافية الجريمة (جرائم القتل). (رسالة ماجستير. الجامعة الإسلامية. غزة). فلسطين.

9- محمد غزالي. فيروز زرارقة. (جوان 2017). دور الأمن الحضري لمدينة سطيف في الوقاية من الجريمة. مجلة العلوم الاجتماعية. (24). ص360-378.

10- محمد. بلفقيه. (دت). الجغرافيا القول فيها والقول عنها. دون بلد: دار النشر العربي الإفريقي.

11- James M. Lindsay. (2001). Techniques in Human Geography. London and New York: Ed: Taylor & Francis e-Library.